الحركة الإعرابية لا مدلول لها

كامل جميل ولويل
كلية الآداب - قسم اللغة العربية
جامعة العلوم التطبيقية

Abstract

It seems that the press and mass media are heading to abrogate the diacritics, assuming that these signs have no effect on meaning. I knew through my studies and teaching of Arabic that we are threatened by a new wave of solecism which no less dangerous than that wave which existed before the beginning of Arabic grammar. As a result, this new wave must be confronted by showing the significance of diacritics on meanings.

Dr. Ibrahim Anis's book "*From language secrets*" was another reason that urged me to write on the effect of diacritics on meanings. since he claims that the diacritic has no significance. Therefore, I figured out that the trend to delete the diacritics has found its support. Dr. Anis mentioned many arguments to cancel the diacritics, referring to thedropping of diacritics mentioned by Abu Amru in his readings and the saying of Al-Khalil Bin Ahmad that diacritics are supplementary.

This research follows an opposite direction, diacritics regarding as of significance. It introduces many examples showing the effect of diacritics on meanings and refutes in linguistic proofs these obscurities advocated will remain by Dr. Anis.

Diacritic will be forever a part of the Arabic structure, their performance will remain an integral part of our lively eloquent language.

تاريخ استلام البحث: 1998/4/15 تاريخ قبول البحث: 29 / 2000/6

ملخص

يبدو أن وسائل الإعلام ماضية في سبيل إلفاء الحركات الإعرابية، إذ ليس لها أثر - فيما دون المعاني- وقد لمست في دراساتي أن تيار اللحن الحالي لا يقل خطراً عنه قبيل نشأة النحو، ولذلك لابد من مجابهته.

كان كتاب الدكتور إبراهيم أنيس (من أسرار اللغة) قاسياً في دعوته لإهمال الحركات الإعرابية، وهذه عناوين من الفصل الثالث: قصة الإعراب، سلطان النحاة، هل للإعراب آثار باقية، الوقف التقاء الساكنين، ليس للحركة الإعرابية مدلول! وقد أورد فيه دلائله على إلفاء الحركات الإعرابية مثل: إسكان أبي عمرو في قراءاته، وقول الخليل بن أحمد: "إن الفتحة والضمة والكسرة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به، وإسقاط الحركات الإعرابية في الصحافة، وعدم حاجة العامية للحركات، وظاهرة الوقف في القرآن بالسكون، وتراءى له نتيجة لذلك أن الحركة الإعرابية لا مدلول لها.

وقد بين الباحث أن سبيل الدكتور لم يكن سبيلاً علمياً يقوم على الدليل الصحيح، وإنما هي شبهات وأمثلة مبتورة لا ترقى لدرجة الأدلة، وقد أثبت البحث أن الحركة الإعرابية لا غنى عنها، وهي جزء لا يتجزأ من لساننا العربي المبين.

ورد عنوان (ليس للحركة الإعرابية مدلول) في كتاب (من أسرار اللغة)[1]، وكانت أول عبارة ذُكرت فيه تحت هذا العنوان هي: لم تكن تلك الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض.

ووجدت الدكتور قد استند إلى عدة استدلالات تعزز رأيه، منها:-

فهمنا لغة الصحافة بسهولة وهي لغة تخلو من الحركات الإعرابية وسهولة فهمنا اللغة العامية وهي لغة تخلو من الحركات الإعرابية أيضاً، ومنها: رأي الخليل بن أحمد في الحركات وقراءة أبي عمرو بن العلاء بالإسكان؛ وكلاهما (الرأي والقراءة) يستغني عن الحركات الإعرابية فيما يرى الدكتور أنيس.

وورقة البحث هذه تسير في طريق مخالف تماماً، فإن فيها الأدلة الكافية على أن الحركات الإعرابية لها مدلولها، وفيها إثبات أن المعاني عند العرب تحتاج إلى الحركات الإعرابية لإزالة ما يكتنفها من غموض أو إبهام، وفيها تعرّض لفهم الأستاذ الدكتور أنيس لقول الخليل وقراءة أبي عمرو؛ فقد حمّل العالمين ما لم يخطر ببالهما.

أستطيع في هذا البحث أن أُمثل بعشرات الآيات التي لا نستطيع فهم معانيها إلا بالحركة الإعرابية، من ذلك قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وقوله تعالى: ﴿إن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه}، وقوله تعالى: {فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلَكُم إلى الكعبين﴾، وأستطيع أن أذكر مئات المواقف في كتاب سيبويه وهو يقول: المعنى كذا وإن أرادوا المعنى كذا قالوا: ....، ثم يأتي بجملٍ كثيرة، ويشير إلى كلمات في هذه الجمل، ويذكر الحركات التي تتغير فتغير المعاني.

لا أريد استباق القول وسوف أبين أن تلك الآراء التي تهدف إلى إلغاء الحركة الإعرابية لم يكن لها من الأدلة العملية نصيب، وأن الحجج التي ذُكرت كانت هينةً جداً.

المطالبة بحذف الحركة الإعرابية

أدلتهم في نقض الحركة الإعرابية:

لقد ذُكرت عدة أدلة لبيان أن الحركة الإعرابية لا تؤثر في المعاني، وذُكر أن هذه الحركات ما هي إلا وسائل لتسهيل النطق والتكلم، وليس لها في المعاني أثر، لقد قال بهذا من الماضين قطرب تلميذ سيبويه، وقال به من المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس وقد استند كل منهما لحجج وأدلة، ولكن توافر للدكتور من الأدلة ما لم يتوافر لقطرب وهذه خلاصة لأفكار الذين يرفضون الحركة الإعرابية باعتبارها عندهم لا تؤثر في المعاني، لقد ذكرت أدلة من قراءات أبي عمرو بن العلاء، أنه كان يسكّن الحركات الإعرابية في القراءات القرآنية ولا يؤدي التسكين إلى اختلاف في المعاني، ولو أدى إلى ذلك لما أخذ به أبو عمرو وهو قارئ حجة، واستدل المنادون بحذف الحركة أيضاً بقراءة الصحف واللهجات العامية، إذ كلا المصدرين يخلو من الحركات الإعرابية ولكن المعاني تظل معروفة ومفهومة، ولا يؤدي الخلاف بين قارئ في الصحيفة يَشكُلُ الكلمات كما تيسر له وقارئ آخر يشكُلُها بطريقة أخرى لا يؤدي هذا إلى اختلاف في المعاني؛ فأفكارهم تصل إلى المستمعين إليهم بسهولة ويُسر؛ فالعامي لا يهتم بالحركات ولا يعرفها فهو تارةً يحرك وتارة يسكن كما اتفق له، ولكن المعاني تكون مفهومة.

وتوقف بعضهم كثيراً عند الوقف وهو ظاهرة مهمة من ظواهر الإسكان، وهو يعني في اصطلاح الحركات تسكين الحركة الإعرابية في آخر الجملة عندما تقف على هذه الكلمة؛ فسورة العصر فيها ثلاث آيات تنتهيْ كل منها براء عليها حركة إعراب: " والعصر، إنّ الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر "؛ فالوقف عليها من دون هذه الحركات الإعرابية لا يضير المعاني؛ وما جرى في سورة العصر يجري في سور كثيرة غيرها دون أن يخل ذلك بالمعاني.

إذن مجمل القول: إن الناس تشق على أنفسها بدراسة طويلة معقدة، ولا أثر لهذه الدراسة النحوية في مفاهيمهم وأفكارهم، فعليهم أن يتركوا هذه الدراسات، وعليهم أن يريحوا لغتهم من التأفف والضجر من هذه الحركات الإعرابية المعقدة. قال الدكتور إبراهيم أنيس: ((الفصل الثالث: قصة الإعراب سلطان النحاة " هل للإعراب آثار باقية "، بين إعرابنا

وإعراب اللاتينية، مفتاح السر هو ظاهرة الوقف، ليس للحركة الإعرابية مدلول، التقاء الساكنين))[٢].

لم أجد أكثر من هذه الاستدلالات، إذ كانت العامية والصحافة والوقف وما ذكر عن أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد هي التعلات ولا تعلات غيرها.

إنها أمور هينة، أحيطت بهالة من التساؤلات واللفظ الفخم، ولكنها لا تحوي من أهدافها الاستدلالية شيئاً يُذكر؛ واللغة حصينة إلى درجة منيعة تستطيع ببساطة أن تثبت سلامتها وعافيتها.

مع أبي عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد:

أ-الإسكان في قراءة أبي عمرو:

روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يسكّن في عدة آيات قرآنية، وفي هذا يقول الدكتور أنيس: (أما رأي القراء في قراءة أبي عمرو فيلخصه لنا قول أبي عمرو الداني: والإسكان أصح في النقل وأكثر في الأداء وهو الذي أختار وآخذ به، وقراءة أبي عمرو بالإسكان أصح في النقل وأكثر في الأداء وهو الذي أختار وآخذ به، وقراءة أبي عمرو بالإسكان نقلها لنا تلميذه اليزيدي ورويت لنا عن طريق السوسي الذي يعد أصح رواية وأدق نقلاً لتوفره على قراءة أبي عمرو وتخصصه فيها)[٣].

والهدف واضح في هذا الاستدلال، فإن أبا عمرو كان شيخ قراء البصرة وهو أحد السبعة الذين يعتدُ بقراءتهم رواية، فإذا قرأ بالتسكين أي بتسكين حركات الإعراب في كتاب الله، وهو الكتاب المقدس الذي نؤمن بأنه وصل إلى بيوت المؤمنين كما أنزله الله على رسوله، فالآيات هي هي، والحركات الإعرابية هي هي، فإن أسكنا فقد صح للمنادي بالإسكان أن يسكن جميع الحركات الإعرابية في اللغة العربية بكل مصادرها، لأن المصدر الأول للغة قَبِلَ الإسكان، فهل يصح هذا التصور بهذه السهولة؟

ماذا أسكن أبو عمرو:

إن هذا الرأي فيه تعميم أكثر مما يقتضيه صنع أبي عمرو، ولو أنا أخذنا بالكلمة المحددة

وفقاً لما صنعه أبو عمرو لما عممنا وناديا بتسكين الحركات الإعرابية، ولما قلنا (وقراءة أبي عمرو بالإسكان)، فما صنعه أبو عمرو كان كما يلي:

قال الموصلي يشرح قراءة الإسكان: (وأسكن أبو عمرو على لغة بني أسد وتميم الراء من: ويأمرهم، ويأمركم، وتأمرهم، وينصركم، ويشعركم، حيث وقعت كلها تخفيفاً، ولتوالي الضمات في الأربعة المتوسطة، وأسكن أبو عمرو على لغة بني أسد وتميم الهمزة من بارئكم من قوله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم ذلك خير لكم﴾[٤]، وقال الأشموني: (قد تسكن ضمة الإعراب بقصد التخفيف وقد قرأ أبو عمرو " وينصركم ويشعركم ويأمركم "[٥] وقال ابن الجزري معقباً على قراءة أبي عمرو: (إن بعض أهالي مكة قرءوا (نعبد) بإسكان الدال ووجهها التخفيف كقراءة أبي عمرو: يأمركم بالإسكان).

وكان في كتاب الحجة لابن خالويه ذكر لهذا كله، قال: [قوله تعالى إلى بارئكم، رواه اليزيدي عن أبي عمرو بإسكان الهمزة فيه، وفي قوله: يأمركم وينصركم ويلعنهم ويجمعكم وأسلحتكم يسكن ذلك كله كراهية توالي الأمثال وحكى سيبويه عن هارون باختلاس الهمزة فيما رواه اليزيدي عنه بالإسكان][٦].

وقال الخساوي: [وقد ثبت الإسكان عن أبي عمرو والاختلاس معاً، ووجه الإسكان أن من العرب من يجتزئ بإحدى الحركتين عن الأخرى، قال: وقد عزا الفراءُ ذلك إلى بني تميم وأسد وبعض النجديين ذاكراً أنهم يخففون مثل يأمركم فيسكنون الراء لتوالي الحركات][٧].

لكن أبا عمرو كان يحافظ على كون القراءة سنة متبعة، وهذه المحافظة جعلته يقرأ الكثرة الساحقة من آيات القرآن بالحركات، وجعلته يقرأ القلة من الآيات بالإسكان من باب التخفيف لأنه رُوي عن الرسول الحركات في كل القرآن الكريم إلا في بضعة مواضع، وهذه نماذج من الحركات:

أمثلة من شرح شعلة على الشاطبية:

١ - [قرأ نافع وابن عامر (اللهُ الذي) بالرفع في سورة إبراهيم على أنه مبتدأ والذي له خبر والباقون بالجر على البدل من العزيز الحميد قبله][٨]. فيكون أبو عمرو من الذين قرءوا بالجر وليس بالإسكان.

٢ – وفي كلمة (بمصرخيّ)، قال الموصلي: [وقال أبو عمرو بن العلاء حين سأله حسين الجعفي عنه: من شاء فتح ومن شاء كسر وفي رواية عنه أنها بالخفض حسنه][٩] – لم يسكن أبو عمرو، إنه يكسر ويفتح.

٣ – وفي سورة النحل، يقول الموصلي: [قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير وابن عامر: فإن الله لا يهدي من (يُضلّ) بضم الياء وفتح اللام، على بناء المجهول نحو قوله تعالى ﴿من يضلل الله فلا هادي له﴾، والباقون بفتح الياء وكسر اللام على أن الفعل لله][١٠] . لم يسكن أبو عمرو كلمة (يضل) بل فتح اللام.

٤ – وفي سورة الإسراء قال الموصلي: [وقرأ أبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي " أو لا يَذّكّرُ الإنسان " في مريم بعكس ما تقدم من القيود أي بالتشديد والفتحتين، والباقون بالقيود][١١].

أستطيع أن أذكر مئات الأمثلة عن أبي عمرو وكلها محركة ولا إسكان فيها. إنّ الإسكان كان للتخفيف في مواضع معينة.

وهذه أمثلة أخرى من خارج كتاب شرح شعلة على الشاطبية:

١ – كان أبو عمرو يقرأ (والطيرَ) بالنصب ويقول (على إضمار وسخرنا الطير لقوله على إثر هذا (ولسليمان الريحَ) أي سخرنا الريح)[١٢].

٢ – كان أبو عمرو يصحح قراءة النصب فيقول (خرجتُ من الخندق – يعني خندق البصرة – حتى صرت إلى مكة لم أسمع أحداً يقول: اضربْ أيُهم أفضل أي كلهم ينصبون)[١٣].

٣ – قرأ أبو عمرو (فأصدق وأكون من الصالحين) وأكونَ بنصب الفعل عطفاً على (فأصدقَ) و (فأصدقَ) منصوب على جواب التمني في قوله (لولا أخرتني)[١٤].

٤ – وكان أبو عمرو يقرأ بالرفع نكذبُ ونكونُ معطوفان على نُرد فيدخلان في التمني دخول نُرد فيه أي وليتنا لا نكذب وقد قال بعد: وإنهم لكاذبون[١٥].

الخلاصة:

ونتيجة هذه الأفكار، وخلاصتها كما يلي:

١ – لم يكن الاستقراء لقراءة أبي عمرو شاملاً، ولذلك كان الحكم غير وافٍ.

٢ – الاستقراء التام يدل على أن أبا عمرو أسكن في مواطن محددة لسببين أحدهما كراهة توالي الحركات، وثانيهما للتخفيف.

٣ – لم يذكر أحد من القُراء أو من غيرهم، أن أبا عمرو كان يحرّك أو يسكن كيفما اتفق له لأن الحركات الإعرابية أو عدمها سواء، لم يقل أحد من النحويين ذلك؛ ولا أدري كيف تسرب هذا التصور إلى كتاب (من أسرار اللغة).

٤ – إنّ أبا عمرو كان يحرك في آيات القرآن الكريم كلها إلا في بضعة مواضع من أجل تخفيف قرأ به رسوله الله صلى الله عليه وسلم وإن رجع أحد إلى كتاب التيسير للداني، أو الحجة لابن خالويه، أو النشر لابن الجزري يجد أن لكل كلمة تقريباً حركة يتمسك بها أبو عمرو تمسك رواية وسنة لا تمسك ابتداع واختراع؛ ولا يتساهل في تغيير هذه الحركة مطلقاً.

ب – مع الخليل بن أحمد:

تحدث الخليل بن أحمد عن الحركات، ولم يحدد أي حركات يريد هل هي الحركات الداخلية في بناء الكلمة كما يدخل الحرف في بنائها أو الحركات الإعرابية فكلمة (يُمَثل) فيها ثلاث حركات بنائية، هي الضمة والفتحة والكسرة، وفيها حركة إعرابية واحدة هي الضمة على اللام، قال سيبويه ذاكراً رأي الخليل في الحركات ما يلي: [وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به][١٦]. يجب أن نفهم معنى زوائد، ويجب أن نميز بين يلحقن الحرف أو يلحقن الحرف الأخير في الكلمة.

إن كلام الخليل ليس غامضاً، فهو يعني كل حرف في الكلمة وكل حركة على الحرف أينما وقع الحرف في أول الكلمة أو وسطها أو آخرها، وأينما وقعت الحركة، وسبب وضع الحركة ليسهل النطق به وليسهل وصل الحروف بعضها ببعض، فكلمة (يُمثّل)، تُسهِّلُ الضمةُ على الياء النطق بهذا الحرف وتسهل وصله مع الحرف الثاني أي الميم كما تسهل حركة الميم وصله بالثاء وهكذا؛ فالخليل يذكر خصيصة من خصائص العربية وهي تسهيل نطق الكلام، فلفظه يمثل: يُ، مَثْ، ثِ، لُ لا تنطق إلا بهذه الحركات؛ هذا ما يعنيه الخليل.

وأما في كتاب (من أسرار اللغة) فقد ذكر العنوان: ليس للحركة الإعرابية مدلول، وقال

د. أنيس بعد ذلك: (لم تكن تلك الحركات الإعرابية تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء، بل لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض)[١٧]، وقد استشهد بقول الخليل بعد ذلك مباشرة فكان أول استدلال للكتاب المذكور عن حذف الحركات الإعرابية لأنها فيما يرى لا مدلول لها؛ فيقول سيبويه: (وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به)، وقال الدكتور أنيس: [ومع هذا تمسك معظم العلماء بالحركات الإعرابية بل إن منهم من اعتبرها دلائل على المعنى]! الحقيقة أنهم جميعاً تمسكوا بذلك وليس معظمهم باستثناء قطرب وذلك لأنهم اعتبروها دلائل على المعاني حقاً.

إن عبارة الخليل تعني أن الحركة أينما وقعت تفيد في النطق والوصل، لأن كلمة (يُمَثِّل) إذا أراد أن ينطقها من دون هذه الحركات فإنها تكون عسيرة جداً، ولذلك قال عبارته المشهورة الرائعة: وَهُنّ يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به، أي أينما وقع الحرف، وفي كل الحروف: الباء والتاء والثاء والجيم في أي كلمة كانت هذه الحروف، وبأي حركة وردت، لأن الحرف في العربية لا ينطق ساكناً بل متحركاً.

وقال السيرافي شارح كتاب سيبويه في هامش الكتاب: [يعني أن الفتحة تزاد على الحرف ومخرجها من مخرج الألف وكذلك الكسرة من مخرج الياء والضمة من مخرج الواو، لأن الكلام لا يخلو منهن أو بعضهن].

فالفتحة تزاد ليسهل التكلم بالحرف وكذلك الضمة والكسرة، وذكر السيرافي كلمة (مخرجها)أي طريقة نطقها، فليس الموضع حركات إعرابية، وليس الموضع موضع البحث عن الدلائل والمعاني، بل الموضوع النطق والمخرج والتكلم، وذكر السيرافي العلاقة بين الحركات وحروف المد، وكلاهما يعين على النطق والتكلم.

هذه حكاية الحركات الزوائد، فالباء حرف ساكن لا نتوصل إلى النطق به إلا بالحركات، فهو مرة مضموم (بُ) ومرة مفتوح (بَ) ومرة مكسور (بِ)، وذلك في مثل: بُن، بَل، بِهِ، بُرتقال، بَلد، بِلاد.

وموضوع الحركات الزائدة في كتاب سيبويه جاء بعد الموضوع المتعلق بالحروف الزوائد

وقد قال سيبويه: [هذا باب علم حروف الزوائد]: وهي عشرة أحرف، وبدأ سيبويه يَعُدُّ العشرة ويفصّل مواقع عملها وأذكر هذين الحرفين مما ذكر: (وأما السين فتزاد في استفعل وأما الميم فتزاد أولاً في مفعول ومِفعال ومَفْعِل ومُفْعَل)[١٨]، فهل هذا يعني الاستغناء عن الميم والسين والحروف الزوائد العشرة؟ إن كلمة زوائد لا تعني الاستغناء عنها بل تعني أنّ لها عمليْن؛ أولهما الحرف الأصلي في مثل مكر، وسمو، وعلم وثانيهما الحرف الزائد أي الذي زيد على الكلمة ليأتي بمعنى جديد مثل: مِقدام، فقد احتجنا للميم لصياغة اسم المبالغة ومثل: مُتقِن، فقد احتجنا للميم لصياغة اسم الفاعل.

هل يعني سيبويه بالحروف الزوائد العشرة أننا نستطيع حذفها لأنها لا مدلول لها كما أن الحركات الزائدة لا مدلول لها؟ إذن نستغني عن الألف والياء والسين والميم وغيرها، لم يدر هذا الفهم بخلد العالم الفذ مطلقاً، وإنما ما يعنيه أن حرف الميم يأتي بوظيفتين ولكن حرف الراء له وظيفة واحدة.

لقد علموا أن الحروف الزائدة والحركات الزائدة هي مكونات أساسية لبناء الكلمة، وقد سميت الحركات زوائد لأننا نحتاج في الكلمة الواحدة لمعانٍ جديدة فنغير مواقع الحركات في أول الكلمة ووسطها وآخرها فكلمة درس تصبح دَرَسَ دُرِس نَدْرسُ، وكلمة قَلَبَ، وقَلْب، ويَقلبُ، ويُقلب، ويقلبْ.

والأمر لا يحتاج إلى تأويل أو تصور، فإن منهج الخليل بن أحمد كان يقوم على الحقائق المباشرة، ولم يكن بحث الزوائد في كتاب سيبويه ليدل من قريب أو بعيد أن الحركات الزوائد والحروف الزوائد يمكن الاستغناء عنها، إنها من أسس اللغة، إنها بنيان الكلمات فإن كلمة: فَهم لها معنى واحد، ولكنها بالزوائد لها معانٍ كثيرة، فماذا نعني بكلمة: استفهم، وكلمة تفاهم، والمشتقات منها: فهيم، وفاهم، ومفهوم، فَهّامة إنها معانٍ جديدة من الحروف الزوائد، وكذلك الحركات الزوائد فإنها تعطي معاني جديدة بتغييرها، فالمقصود بالزائد أنه ليس من بنية الحرف، ولكن لابد منه للنطق والتوصل إلى التكلم به، وعندما تركب الكلمة يظهر أثر هذه الزوائد في النطق والمعنى كما ظهر أثر الحرف الزائد في النطق والمعنى.

فقول الخليل يصبُ في هذه البحيرة التي تلتقي فيها روافد جمالية تثري الفصحى

وتكشف عن سر من أسرارها، إنها الحركة التي تيسر النطق وتوصل إلى التكلم بسهولة، كأن الخليل يفسر قوله تعالى (لسان عربي مبين) فالحركة تسهم في سلاسة اللسان وإبانته.

والمدقق في الأمر يرى أن الحركة الإعرابية لها عملان: الأول تسهيل نطق الحرف الأخير مع سابقه ومع الكلمة التالية، وثانيهما أنها تؤثر في المعاني، وسيكون لنا موقف في الصفحات القادمة نبين فيه ارتباط المعاني بهذه الحركات الإعرابية.

جـ - مع الوقف:

ذكره القائلون بحذف الحركة الإعرابية في معرض احتجاجهم على أن المعاني لا تتغير عندما نقف في آخر الجملة بالسكون بدل الحركة، ورأوا أن الحركة ليس لها قيمة في المعاني لأن المعنى عند الإسكان يظل كما هو.

إذا كنت تقرأ موضوعاً، فإنك في آخر كل عبارة أو جملة في هذا الموضوع تتوقف لتلتقط نفسك، ومن ثَمّ تواصل القراءة والوقف يكون على الأغلب بالسكون، ولكنه قد يأتي بالألف أو الواو أو الياء أي بحرف المد، وذلك مثل:

قرأتُ الكتابْ، وقرأتُ كتابي، لقد ضُمّتْ مسألة الوقف إلى الآراء الداعية إلى إلغاء الحركة الإعرابية، ووجدوا أن الوقف أحد الأدلة القوية على تسكين أواخر الكلام لأن الحركة لا تقدم معنى ولا تغير في معنىً فقال (أي الدكتور أنيس): [إن شيوع الوقف بما يسمى السكون أو بعبارة أدق سقوط الحركات من أواخر الكلمات في حالة الوقف لأكبر دليل على أن الأصل في الكلمات ألا تكون محركة الآخر، وأن ما حرك منها في وصل الكلام كان لأسباب صوتية، دعا إليها الوصل[١٩]، وقد أشار الدكتور إلى المصدر الذي أخذ عنه وهو (Sandhi -Pheno-mens).

هذا ما ذكره، ويبدو أن استقراء الوقف في هذا الموضوع لم يكن شاملاً كما لم يكن استقراء أقوال الخليل وقراءة أبي عمرو شاملاً، ولبيان الحق نذكر ما يلي؛ أي نذكر جملاً يتنوع حال الوقف فيها.

١ - قد أفلح المؤمنونْ - لم تحذف حركة الإعراب، لأنها الواو وليس النون؛ وكتاب الله طافحٌ بالأسماء والأفعال المنتهية بالواو أو الياء والنون مثل: رب العالمين، ومثل أيها الكافرون،

ومثل: الظالمون، ومثل: بالصالحين...الخ، إذاً لم يؤثر الوقفُ على الحركة الإعرابية، وهذا جانب كان من الضروري الالتفات إليه حتى يُستثنى هذا الموضوع من الوقف بالإسكان.

٢ - قال تعالى: ﴿سلاسلَ وأغلالاً وسعيرا﴾، الوقف بالألف، وقد سمى علماؤنا الفتحة جزءاً من الألف، فالحركة موجودة، والمنصوب كله يوقف عليه بالألف؛ ويوجد أسماء وأفعال تنتهي كأصل بالألف مثل والضحا، سجى، قلى، الأعلى، هوى، غوى، الهوى...

٣ - قال الشاعر:

صبتْ نفسي إلى العليا وفي العلياء ما تصبو

فالوقف بالواو وهو حركة مد كما نعلم، ومثل ذلك ما انتهى من الأسماء أو الأفعال بالياء مثل: وصلنا إلى الوادي، وكقوله تعالى: (ذلك ما كنا نبغي)، ومثل: نعم أنا لا أدري.

٤ - يعلم كل قارئ في كتاب الله أن ورود الأفعال المضارعة يعملون، ويكسبون، ويذكرون، ويتطهّرون، ويؤمنون، ويمكرون، ويعلمون، ويفترون ويعدلون، ويتقون، ويصدقون، ويظلمون، ويشكرون، ويفلحون وأمثالها، كثيرٌ جداً جداً وهذه الأفعال مرفوعة بالنون ولا يوقف على حركتها الإعرابية إلا بها، لأن علامة الرفع هي النون، وهذه النون موجودة ولا نستطيع حذفها، فالمضارع إذا لم يسبق بعامل الجزم أو النصب تثبت فيه النون، وهذه النقطة ثلمة في موضوع السكون؛ كما كان الوقف بالألف والواو والياء ثلمات أيضاً.

٥ - تصور الحركة ولو سقطت أن كلمة مثل (كبير) لها معنى، ولكنك لا تحصر هذا المعنى في شيء واحد إذا سمعت الكلمة مقطوعة عن غيرها، فتظن أن الكبير جبل، وتظن أنه فيل، أو إنسان ضخم، أو فعل يستحق التقدير، وهكذا، ولكن وضع الكلمة ضمن تركيب معين مع حركتها يدل على العلاقة بين الكلمات بعضها ببعض ويتحدد معنى الكبير، قال تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتالٌ فيه كبير﴾وإذا قيل لقد سقطت حركة (كبير) وسكناها، وبرغم ذلك ظل المعنى واضحاً فإنا نقول: إن الحركة في ذهن العربي قائمة، إنه أسكنها لظرف طارئ وهو الوقف والتقاط النفس وتقسيم المعاني العامة إلى معان مفردة، ولكن الذهن يحيط بالعلاقة التي تسببها الحركة كما لا يغيب عن بالنا أثر الحركة البنائية، وندركها ولو لم تكن مكتوبة وإذا أعطينا فرصة أشرنا لحركاتها تقول مخاطباً المذكر: لقد ظهر لي

أن المشكلة حلة عندما جئت أنتْ.

نحن في الوقف نتصور ذهنياً حركة (أنتْ) ونعرف أنها بالفتحة، ولا نظنها كسرة أبداً. وتقول مخاطباً المفردة المؤنثة: لقد ظهر لي أن المشكلة حلت عندما جئتِ أنتْ.

فنحن أيضاً نتصور الحركة ذهنياً، ونعرف أنها الكسرة ولا نظنها فتحة أبداً. وسبب ذلك أن المعاني السابقة أعطتنا فكرة واضحة عن الكلمة الأخيرة.

قال الدكتور أحمد حماد مستفيداً من أفكار سوسير في ذكر الحركات الإعرابية:

[وهي السمة التي تجعل من آخر الكلمة العربية محطاً للحركات القصيرة تتناوب فيما بينها على الظهور في ذلك الموقع بحسب وظيفة الكلمة تلك في الجملة العربية وظاهرة الإعراب هذه تجعل من الجملة العربية متتالية كتابية مقوْلبة ضمن نموذج يحاكيه القارئ في كل ما يقرأ وعليه فليس من حاجة هنا لإثبات الحركة الإعرابية مرسومة على أواخر الكلم إلا في حالة الالتباس](٢٠).

والذي نلاحظه أن الوقف في نهاية الجملة لا يدعو للالتباس، لأن المعنى أصبح واضحاً لديك وأنت تقرأ الجمل من أولها إلى آخرها، لماذا نجيز لأنفسنا القول: إن السكون هو الأصل برغم عثورنا على مئات الآلاف من الأبيات من الشعر المستشهد به وهو محرك بل مشبع بالحركة عند آخر البيت، فالحركة هي الأصل، والوزن الموسيقي لكل بيت يدل على أن الحركة هي الأصل، والنغم القرآني يدل أن الحركة أصل، وقد استخرج الخليل بن أحمد ١٥ بحراً من أوزان الشعر، ولم يكن ذلك إلا بعد معرفة لكل تفعيلة، والتفعيلة تقوم على المقاطع المتحركة والساكنة، فإذا تناول بيتاً مثل:

يميناً لنعم السيدان وجدتما: على كل حالٍ من سحيلٍ ومبرمِ

وجد أن الحركة الأخيرة مشبعة فبدل الكسرة إشباع للكسرة حتى تتحول إلى ياء؛ لقد وقف الشاعر عليها كما نقف عليها الآن، وهي وقفة بكسرة مشبعة، وقد أورد ابن جني مثالاً يصور فيه وجود هذه الحركة في ذهن الأعرابي، وأثرها في ربط الكلام بعضه ببعض ضمن التركيب الواحد، قال ابن جني يصف لقاءه بابن عساف التميمي [كيف تقول ضربتُ أخوك؟ فقال: ضربْتُ أخاك، فأدرتُه على الرفع فأبى وقال: لا أقول أخوك أبداً، قلت فكيف

تقول ضربني أخوك؟ فرفع، فقلت: ألست زعمت أنك لا تقول أخوك أبداً؟ فقال: إيش ذا، اختلفت جهتا الكلام][٢١] فعلاقة الحركة بالتركيب والمعنى قائمة، وقد علم ابن جني من إصرار ابن عساف التميمي على تثبيت (الواو) في الأسماء الخمسة في حال الرفع، وعدم الانزلاق إلى الألف أنّ المعنى سيختلف لو قبل التغيير، فأصر الأعرابي على الواو للرفع وعلى الألف للنصب، إن هذه الحركات تعبير عن معانٍ محددة في الذهن؛ وليس الأعرابي بدْعاً من الأعراب، فهم كذلك، وقد نقلت عنهم اللغة وهم يحفظون حركاتها ويحافظون عليها.

ويجدر بنا أن نقف مع الخليل بن أحمد وقفة تقدير واستذكار، لقد سألوه وهو يضع قواعد النحو والإعراب والمعاني عن العلل، إذ يقول الخليل: يرفع هذا الاسم لسبب كذا وكذا، وينصب هذا الفعل لسبب كذا وكذا، أو لو أرادوا معنى كذا لقالوا كذا، ويذكر سيبويه له ٥٢٢ رأياً معللةً في الحركة الإعرابية وأسبابها.

[قالوا له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفتْ مواقع كلامها، وقام في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها واعتللتُ أنا بما عندي أنه علة لما عللتُه منه فإن أكن أصبتُ العلة فهو الذي التمستُ][٢٢]، هذا هو قول الخليل ومنهجه وليس ما تعجلوا بفهمهم عنه أن الحركات زوائد أي لا تتمسكوا بها!

د - مع الصحافة:

الأسلوب الصحفي الآن واسع الانتشار، ولهذا الأسلوب خصائص متعددة، منها ما يتعلق بالأسلوب نفسه، ومنها ما يتعلّق بالقائمين عليه، وقد عايشتُ هذا الأسلوب والقائمين عليه عدة سنوات، كانت المعايشة ميدانية، ولذلك كان لها أثر في فهمه وفهم القائمين عليه على قدر ما شاء الله لي.

أهم خصائصه أنه كلام سهل، لا تحتاج فيه إلى معجم لتبحث عن معنى غريب أو كلمة غير شائعة الاستعمال، ومنها حذف الحركات الإعرابية، بل قُلْ حذف جميع الحركات الإعرابية وغير الإعرابية، ومنها تعلق الأفكار والمعاني بالواقع القائم، وارتباطها بالحدث ارتباطاً لا ينفصم، فالأسلوب الصحفي لا يصور حادثة تاريخية قديمة، ولا يصور مراحل أدبية سابقة، ولكنه ينقل إلى قارئ الصحيفة أو مستمع الإذاعة والتلفاز صورة الواقع عن

الاقتصاد أو الاجتماع أو السلام أو الحرب أو السياسة أو العلم أو الثقافة وهو واقع يهم القارئ ويسأل عنه.

وأما القائمون عليه فلهم حظ من اللغات الأجنبية، ويلجئون إلى الترجمات كثيراً، ويحل على ألسنتهم كثيراً لفظ أجنبي للتعبير عن الواقع العربي في نقطة من نقاط البحث أو الشرح أو البيان إنهم لا يجدون إلا (Exploration) للتعبير عن استكشاف النفط، ويرون كلمة (Design) أوضح من التخطيط يظنونه أقرب إلى التعبير في هذه النقطة من الكلمة العربية بل يرونها أدق إيضاحاً والأمثلة على ذلك كثيرة وشائعة.

إذن عليك أن تنتظر التساؤل إثر التساؤل منهم بسبب هذه الحركات الإعرابية ذات المنظومات الدقيقة المحكمة لأنهم لم يألفوها ولا تعجبْ إذا لمستَ شيئاً غريباً من بعض الصحفيين، لا تعجب إن سمعتهم يقولون دعنا من لغة سيبويه، ولغة زيدٍ وعمروٍ، ولغة الإعراب لا تعجب من ذلك، فإن البيئة تفرض هذا التساؤل وتلك الغرابة، أعني بيئة الترجمة والثقافة الأجنبية وتوارد الأخبار عن بلاد أجنبية تحكم العالم، إنّ هذا يضعف الصلة بالعربية كلها هذا واقع نراه ونلمسه ونعايشه؛ ولكنا نستطيع أن نضع لغتنا في المقام الأسمى أمامهم ليعرفوا أن لغتنا حية، ونبضها قوي، واستيعابها واسع؛ يجب أن نريهم أن هذه الحركات ذوقية ومعنوية، إنّ لها أثراً في نغم الكلمة وبذلك نوجد الوازع لديهم ليعرفوا لُغتهم.

إن الحركات الإعرابية اختفت من الصحافة، كما اختفت من اللهجات العامية، وسبب ذلك أن موضوعات اللغة العامية، وموضوعات الصحف والمجلات جلية واضحة وهي مفهومة بمعناها وفكرتها بسبب تداولها، والتعامل اليومي معها؛ لا نريد أن يكون حذف الحركات الإعرابية من الصحف منطلقاً للمطالبة بإلغائها كلها، إنك تنزع عن جسمك كثيراً من الثياب في الصيف، ولكن فعل ذلك في كل الفصول ضار.

حذف الحركات في اللغة كلها:

لسنا بكل تأكيد مع الرأي القائل: [يكفي للبرهنة على أنْ لا علاقة بين معاني الكلام وحركات الإعراب أن تقرأ خبراً صغيراً في إحدى الصحف على رجل لم يتصل بالنحو أي نوع من الاتصال فسنرى أنه يفهم معناه تمام الفهم مهما تعمدنا الخلط في إعراب كلماته][٢٣].

الدعوة هنا واضحة لحذف حركات الإعراب، والحذف سيؤدي إلى اختلاط المعاني في لغة الصحافة اختلاطاً ما، ولكنه سيؤدي إلى تشويشها تشويشاً شاملاً إذا وقع في لغة الأدب والشعراء والكُتّاب ولغة القرآن والحديث النبوي، إنه سيدمّر - إذا أُخذ به - اللغة الفصحى؛ وسأضرب أمثلة على هذا الاختلاط والتشويش، ولن يعجزك شيء إن أردت البحث، فستجد أمامك وفرة:

أمثلة على الحركة:

١ - قال المذيع: أقبل اللبنانيون على شراء أغذية يومِ أمس.

والصواب هو: أقبل اللبنانيون على شراء أغذيةٍ يومَ أمس.

الجملة الأولى تختلف في معناها ومضمونها عن الجملة الثانية، فالأولى خصصت الشراء ليوم واحد أي يوم أمس، فالأغذية المقصودة هي أغذية يوم واحد، أما الثانية فلم تحدد كمية الشراء بل حددت وقته ولهم أن يشتروا غذاءَ أيامٍ كثيرة إن شاءوا.

٢ - وأما في اللغة الفصيحة فأضرب هذا المثل: قال المؤذن: أشهدُ أنّ محمداً رسولَ الله، قال ابن قتيبة في كتابه (عيون الأخبار)، سمع أعرابي هذا الأذان، فقال: ويحك يفعل ماذا؟ لقد تغير المعنى الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم؛ كلمة رسول خبر عن محمد، فيجيب رفعها، ولما نصبها المؤذن لم تصبح خبراً فسأل الأعرابي يفعل ماذا أي أين الخبر؟

٣ - وهذا مثل أراه يقع بين بين، أي بين الفصحى والأسلوب الصحفي، وهو يحتاج لشيء من التفكير.

قال الكاتب الصحفي: يرافق الملكُ في هذه الجولة عدداً من المسؤولين.

ولكن الصواب هو: يرافق الملكَ في هذه الجولة عددٌ من المسؤولين.

والمعنى بين الجهتين مختلف، الجملةُ الأولى لم تعط للملك قَدْرهُ، ولكن الثانية أعطت، إن هذا مصدره الحركة الإعرابية، فتغيير الحركة يؤدي إلى اختلاف في المعاني.

موضوعات الصحافة والإذاعة والتلفاز:

إن الموضوعات العامة التي تتناولها وسائل الإعلام ومنها الصحافة تسهل على الناس

فهمها، لأنها من بيئة الناس وواقعها وشغلهم الشاغل، فأسفار المسؤولين، ولقاءاتهم، وتصوير المشروعات الآن كثير فأي حديث عنها يكون مفهوماً؛ وليس سبيل الفهم وجود الحركات أو حذفها ولكن السبيل تصويرها لواقع يعيشه كل إنسان معاصر، فإذا ما رأى مشاهد التلفاز وفداً سياحياً يقف في موقع آثار جرش فإنه يدرك الفكرة من هذا المشهد، والمشاهد لا يكلف نفسه كثيراً في متابعة الحركات في نشرة الأخبار لأنه أدرك الفكرة بنظره، وربما توطنت أنفسنا على سماع أفكار إعلامية كثيرة بسبب تكرارها.

الحرف (ال):

والغريب أننا تقبلنا منذ عام ٦٧ حتى الآن اختلاف السياسيين في فهم النص الإنجليزي لقرار ٢٤٢ الصادر بسبب الأراضي المحتلة، يقولون في الحوار:

الانسحاب من أراضي محتلة يختلف عن الانسحاب من الأراضي المحتلة:؛ إنّ (ال) التعريف تؤثر في فهم المعاني، وتوجهها من جهة إلى أخرى، ومثلها أدوات النحو المختلفة التي يعرفها أهلها حق المعرفة. ونحن من أهل هذه اللغة الشريفة وممن أمضوا أكثر عمرهم في دراسة هذه اللغة علينا ألا نتوانى عن إبرازها بأثوابها القشيبة وإظهار جمالها وقوتها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

شمولية النحو وأمثلة عليها:

ليست الحركة الإعرابية هي النحو كله، فالنحو شامل لاستعمال الكلمة، إفراداً وتثنية وجمعاً، والنحو يبحث في التصغير والنسب ومعاني الظروف وحروف الجر، وغير ذلك كثير، وهذه أمثلة من صميم النحو، وهي بسبب الترجمات تفقد رونقها العربي:

أ - لندن تصعد أزمة رشدي مع طهران:

لو كانت الجملة مستقلة، وليس لها في أذهان القراء تمهيد واسع، لكان معناها: لندن وطهران معاً تصعدان أزمة رشدي ضد...، فكلمة مع ظرف يفيد الصحبة، لكن كثرة الأخبار في الموضوع تجعل الإنسان يفهم المقصود من دون تدقيق في معنى هذه الكلمة أو تلك؛ فالمعنى الصحيح للجملة أن لندن وطهران كلتيهما تتعاونان في تصعيد أزمة رشدي، كلتاهما ظهير للأخرى، ولكن المقصود عكس ذلك، لقد تجاوزنا حدود قواعد النحو، وظننا أن ما

نقوله صواب، ولو حذفنا كلمة (مع) ووضعنا بدلها (ضد) لكان القول صائباً وفق الاستعمال اللغوي.

ب - توقفتُ المفاوضات فيما استمر إطلاق النار:

لم يستعمل العرب كلمة (فيما) بدل كلمة (بينما)، فهذا الجار والمجرور (فيما) استعمل للاستفهام، أو استعمل للاسم الموصول، نقول: فيمَ أنت من ذكراها؟ ونقول: فيما كانوا فيه يختلفون.

إذن الصواب هو: توقفت المفاوضات بينما استمر إطلاق النار، وربما تأتي (بينما) و (بينا) بمعنى واحد، وقد جاء في الحديث الشريف: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله فغفر له"(٢٤).

وقال أبو هريرة: "وقال النبي صلى الله عليه وسلم: بيناً أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة توضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا؟ قالوا لعمر فذكرت غيرة عمر فوليتُ مدبراً"(٢٥). لكن في لغة الصحافة تأتي كلمة على لسان صحفي لم يدقق في الكلمة معنىً واستعمالاً، ثم يشيع الخطأ، والأجْدر أن نكون حريصين على وضع الفصحى في موقعها المناسب.

جـ - يُقال كثيراً: لم تتبينّ لنا الحقيقةُ المرجوّة لحد الآن:

كيف اقتحمت كلمة (لحد الآن) على الوسائل الإعلامية لغتها؟ يغلب على الظن أن أحد الإعلاميين في البدء كتب لحد الآن كترجمة لعبارة Until now، ثم شاعت حتى صارت من حقائق اللغة الإعلامية اليومية.

أما الصواب فقولنا: لم تتبين الحقيقةُ المرجوة حتى الآن.

ولنا في شواهد لغتنا ما يثبت هذا الاستعمال (حتى الآن) بدل عبارة (لحد الآن)! قال سبحانه: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾.

د - خبر إذاعي (مونت كارلو ١١/ ٧/ ٩٧ الساعة ١٠ ليلاً)

قال المذيع: [فإن عجز الميزانية ٥ ,٣٪ كان يجب أن يكون ٣٪ في الحد الأعلى وهذا يقلل المناورة لجهة وعود الناخبين ولذلك على الحكومة التقشف أو زيادة الضرائب، وهذا

يعطي القوة لجهة دخول فرنسا لعملة أورو].

إني من مجمل الأخبار ومن مجمل الفكرة التي تحدث عنها المذيع أستطيع أن أحدد المعاني التي تريديها، ولكن دراسة الجملة دراسةً نحويةً ولغويةً كما هي أمامنا لا تؤدي إلى الفهم الدقيق المطلوب، إن هذا الخبر لا يهم المواطن الأردني كثيراً، ولكن لون كان الخبر الغامض عن إغلاق الضفة الغربية وقطاع غزة، لعلم من فوره ما المقصود بالإغلاق ولكان الكلام المبهم فسره بما يحتويه مخزونه من المعرفة السابقة.

هـ - ورد في كتاب (من أسرار اللغة):

ورد في كتاب (من أسرار اللغة) أزواج من الجمل متفقة المعاني فيما يرى، ولم يختلف الأمر بينها إلا في حركة واحدة في الجملة كلها في إحدى الكلمات، إنها منصوبة مثلاً ثم تجرّ بالكسرة ولكن المعنى يظل كما هو، قال الدكتور أنيس: [إنّ بعض حالات النصب لا تكاد تختلف في معناها عن بعض حالات الجر مثل: قمتُ بهذا ابتغاء وجه الله، قمت بهذا لابتغاء وجه الله. فلِمَ كانت كلمة ابتغاء في الأولى منصوبة وفي الثانية مجرورة؟][٢٦] يقصد أن الجملتين بنفس المعنى، وذلك برغم اختلاف الحركات الإعرابية.

[ومثل: جاءني من باع السمك، جاءني بائعُ السمك. لم كانت السمك في الأولى منصوبة وفي الثانية مجرورة][٢٧]، فالجملتان بنفس المعنى، واختلاف الحركات لا قيمة له، ومثل: سهرتُ الليلة الماضية؛ حدث كل هذا الأسبوع الأول من ولادته، حدث كل هذا في الأسبوع الأول من ولادته.

هل هذه الأزواج الأربعة تحمل معنى واحداً؟ هل كل جملتين من نفس الزوج لهما معنى واحد فقط لا يختلف في شيء عن نظيره؟ ألم يؤثر دخول اللام، ولا اسم الموصول من، ولا حرف الجر في؟

لقد ساءلت الأساتذة من مختلف الدرجات، وساءلت من حولي من مختلف الثقافات عن هذه الجمل مجتمعة أو متفرقة، وفقاً لما يقتضيه فاسأل: (هل جملة صليت ابتغاء وجه الله) تحمل نفس المعنى لجملة (صليتُ لابتغاء وجه الله)؟ كلهم يذكر فرقاً وإن اختلفوا في تحديده.

وساءلت: هل جملة (جاءني بائع السمك) لا تختلف في معناها عن: (جاءني من باع

السمك)؟ لقد سألت في هذا الزوج أناساً لهم حظ متوسط أو قليل من ثقافة العربية وأسرارها، ولكن الإجابة دلت على الفرق، الأولى بائع معروف معين، والثانية قد لا يكون باع سمكاً إلا مرة واحدة، يوجد في الأولى تعريف قوي ويوجد في الثانية شيء من التنكير.

وأما الظرفان الليلة والأسبوع فكان جواب الجميع أن الفرق قائم بينهما، فالسهر أو الشيء الذي حدث استغرق الليل كله والأسبوع كله، ولكنهما في حالة الجر يفيدان الجزئية، أي السّهر في جزء من الليل والحدوث في جزء من الأسبوع.

كانت الجملة الأولى: (قُمت بهذا ابتغاء وجه الله)، في الإجابة لأنها أرقى الجمل، فالفرق قائم لكن الحيْرة شديدة في حجم الفرق وتوجيهه، وأرى فيها: إن الجملة الأولى أقوى لأداء الغرض، لقد وُضع في الجملة الثانية حرف اللام وهي تفيد التعليل، ولكن المفعول لأجله (ابتغاء) يفيد التعليل فيكون وضع اللام من قبيل الحشو، أضف لذلك أنك باعدت بين قيامك وابتغائك باللام فتكون الجملة الأولى أقرب إلى المعنى المطلوب، وأدق في نيل الهدف.

لقد فرق أساتذة النحو بين جملة: كادتْ الشمسُ تطلع، وكادت الشمسُ أن تطلع فقالوا إن الجملة الأولى تعني القرب الشديد، وأما الثانية فالقرب ليس شديداً لأنك أدخلت شيئاً بين كاد وتطلع مما أبعد الفترة؛ وقد استشهدوا بكتاب الله تعالى: يكاد زيتُها يضيء، ويكاد البرق يخطف أبصارهم، فالإضاءة والخطف قريبان جداً.

البحث الحق:

إن الجهد في سبيل ضرب أمثلة متقاربة في تراكيبها كما سبق، ولكنها تختلف في الحركات الإعرابية بقصد الوصول إلى قناعة إلغاء هذه الحركات جهد غير مثمر، فإن هذه اللغة الشريفة وردت إلينا بلفظها وتركيبها محركةً وهذه الحركة لها دور في المعنى والنطق وتداولتها مئات الأجيال الواعية المفكرة بهذه الصورة القوية المحافظة المُبينة وقدمت بها أكبر كنوز الثقافة في العالم، وكان الأوْلى بحث آثار هذه الحركة لنكشف بعض أسرارها المفيدة للغة؛ ونعرف دقائق أسرارها، علينا أن نحسن اختيار البحث.

كان جميلاً جداً من الباحث أو الباحثين أن ينظروا في غير هذين السببين أو السرين من

أسرار الحركة أي غير إفادة المعنى وتسهيل النطق لربط الحروف بعضها ببعض، إذن لقدموا خيراً جديداً للغة، لكن أن نظل في هذه المواقف المقلدة في كل شيء سطحي وظاهري حتى في اللغة فإن خسارتنا محققة؛ لا يجوز لنا أن نهمل دراسة لغتنا الحية فإنا نعرف أن كنوزها هائلة، ألا نرى في عصرنا أسباط بني إسرائيل تسعى لإحياء لغة ميتة.

الهوامش:

١ - من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢٣٨ .

٢ - من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس، ص ١٩٨ .

٣ - من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس، ص ٢٣٨ .

٤ - شرح شعلة على الشاطبية، ص ٢٦٢ .

٥ - منهج السالك إلى الفية ابن مالك (٣/ ٦٠٤).

٦ - الحجة لابن خالويه ص ٥٤، تحقيق د. عبد العالم سالم مكرم.

٧ - القراءات واللهجات، تأليف عبد الوهاب حمودة، ص ١٧٧ .

٨ - شرح شعلة على الشاطبية، للموصلي، ص ٤٥٠ .

٩ - شرح شعلة على الشاطبية، للموصلي، ص ٤٥٠ .

١٠ - شرح شعلة على الشاطبية، للموصلي، ص ٤٥٧ .

١١ - شرح شعلة على الشاطبية، للموصلي، ص ٤٦٤ .

١٢ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية/ د. عبد العال سالم، ص ٧٥ .

١٣ - البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري، ورقة ٢٥١ .

١٤ - إعراب القرآن للسمين الحلبي، مخطوط ١٠٧، دار الكتب.

١٥ - إعراب القرآن للسفاقس، ج١/ مخطوطة ٢٢٢ - دار الكتب.

١٦ - كتاب سيبويه (٢/ ٢٤١) تحقيق عبد السلام هارون، من أسرار اللغة (٢٣٨).

١٧ - من أسرار اللغة ص ٢٣٧، نقلاً عن: .Anaptyclic Vowels

١٨ - كتاب سيبويه، ج٢/ ٢٣٧، تحقيق: عبد السلام هارون.

١٩ - من أسرار اللغة، ص ٢٤٨-٢٤٩، للدكتور إبراهيم أنيس.

٢٠ - الأبجدية العربية نشأتها وتطورها / مخطوطة/ ص ٧٤ .

٢١ - الخصائص لابن جني (١/ ٧٦).

٢٢ - الإيضاح في علل النحو للزجاجي، ص ٦٥-٦٦، تحقيق د. مازن المبارك.

٢٣ - من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس، ص ٢٤٢ .

٢٤ - مختصر صحيح مسلم/ للحافظ المنذري/ ج٢/ ص ٤٧، تحقيق الألباني. رقم الحديث ١٠٨٢ .

٢٥ - مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري ٢/ ١٩٢ تحقيق الألباني. رقم الحديث ١٦٣٢ .

٢٦ - من أسرار اللغة، ص ٢٤٠، د. إبراهيم أنيس.

٢٧ - من أسرار اللغة ص ٢٤٠، د. إبراهيم أنيس.

ثبت المصادر

١ - القرآن الكريم.

٢ - الأبجدية العربية/ نشأتها وتطورها/ د. أحمد حماد، مخطوطة.

٣ - الخصائص لابن جني ط٢ تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت لبنان.

٤ - إعراب القرآن للسفاقسي، مخطوطة تفسير رقم ٢٢٢/ دار الكتب - مصر.

٥ - إعراب القرآن للسمين الحلبي/ مخطوطة تفسير ٣٢١، دار الكتب - مصر.

٦ - البيان في غريب إعراب القرآن/ لابن الأنباري/ مخطوطة تفسير رقم ٦٤٤ - دار الكتب - مصر.

٧ - شرح الأشموني/ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ دار الكتاب العربي - بيروت.

٨ - شرح شعلة على الشاطبية/ تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحسين الموصلي/ الاتحاد العام لجماعة القراء رقم ٨٣٣/ دار التأليف، القاهرة - مصر.

٩ - القراءات واللهجات/ تأليف عبد الوهاب حمدة/ ط١/ مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨م.

١٠ - القرآن الكريم واثره في الدراسات النحوية/ أ.د عبد العال سالم مكرم/ دار المعارف - مصر ١٩٦٨م.

١١ - كتاب سيبويه/ تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

١٢ - مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني/ الكويت - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / ١٩٧٩ ط٣.

١٣ - من أسرار اللغة تأليف الدكتور إبراهيم أنيس ط٥/ مكتبة الأنجلو مصرية ١٩٧٥م.